

شرح

الحمد لله رب العالمين

حفظه الله تعالى



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ 102

[آل عمران]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ 1 [النساء]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ 70 ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ 71

[الأحزاب]

إِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فنتدارس بإذن الله تعالى مادة :

" علوم القرآن "

وعندنا الموضوع اليوم بإذن الله تعالى : " أسباب النزول " .

والموضوع فيه شيء من الطول والتنوع ؛ ولذلك إن شاء الله - عز وجل - سنأخذ بعض المقدمات وبعض الأمور الأولية ، ونكمل إن شاء الله في اللقاء القادم والذي سيكون بإذن الله تعالى في أول أسبوع من شهر محرم بإذن الله تعالى كما سيأتي .

أسباب النزول

القرآن : نزل لحكمة عامة أو لحكم عامة كثيرة ، من أهمها ثلاث حِكَم :

الأولى : نزل ليهدي الإنسان ؛ ليهدي الناس إلى الطريق الواضح ويرشدهم إلى الله - عز وجل - وإلى جنته ، كما قال الله - عز وجل - :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ⁽¹⁾

وقوله - سبحانه - :

﴿ الم ﴿ 1 ﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ⁽²⁾

فالقرآن نزل لهداية الناس وتعليمهم وإرشادهم ، ولذلك على المسلم وعلى المسلمة إذا قرأ القرآن أن يقرأه كل واحد منهما بتدبر وبتأمل ، ويستفيد من مواعظه وأوامره ونواهيه وما فيه من القصص وما فيه من العبر ، فالقرآن هو كلام ربنا كتاب منزل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل وهو من آياته ومن دلائل نبوته - عليه الصلاة والسلام - .

والقرآن معجزة خالدة باقية إلى أن يشاء الله برفعه في آخر الزمان ، ولذلك من الخطأ الذي نسمعه أحياناً أو نشاهده أن بعض الناس يجعل القرآن مجرد قراءة وكما يقال يعني تحفة وشيء ثمين فقط لا للعمل به ولا لفهمه ولا لتدبره ولا للاهتمام به ، ولا شك أن هذا خطأ ؛ لأنه ينافي الحكمة التي من أجلها نزل القرآن .

⁽¹⁾ (سورة الإسراء ، الآية : 9 .

⁽²⁾ (سورة البقرة .

فعلى المسلم وعلى المسلمة أن يحرصا على الاهتداء بالقُرآن ؛ وهذا على ضوء السنة النبوية وتفسير الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وليس المراد أن الإنسان يفهم القرآن دون الرجوع إلى السنة ، ودون الرجوع إلى تفسير السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، إذاً **الحكمة الأولى** : نزل لهداية الناس .

الحكمة الثانية : نزل القرآن ليعمل به ؛ ففي القرآن أوامر يمتثلها المسلم والمسلمة ، ونواهي يجتنبها المسلم والمسلمة ، ومواعظ وحكم يستفيد منها المسلم والمسلمة ؛ فيطبقوا ما في القرآن من هذه الأمور وغيرها مما اشتمل عليه القرآن ، وكما سبق على ضوء السنة النبوية ، وأما أن يجعل القرآن فقط لمجرد القراءة وتحريك اللسان مجرد تمريره دون العمل به ؛ فلا شك أن هذا يخالف الحكمة التي من أجلها نزل القرآن .

كذلك من الحكم :

إذا ؛ هداية الناس ، العمل به ، تلاوته وقراءته .

تلاوته وقراءته ؛ من الخطأ أن بعض الناس لا يقرأ القرآن أبداً إلا في الصلاة ، وهذا يدخل في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ 30 ﴿ ٣ ﴾

قال أهل العلم : هجر القرآن أنواع :

قد يكون الهجر بتلاوته ؛ بمعنى قد يكون الهجر بعدم تلاوته ، فهذا هجر للقرآن ،

وهو بسبب عدم قراءته ، وعدم هجر القرآن يكون بقراءته في الصلاة وفي غيرها ، في رمضان وفي غيره ، أما أن يجعل القرآن فقط في رمضان ، أو يجعل فقط في الصلاة لا شك أن هذا يخالف الحكمة التي لأجلها نزل القرآن .

ومن أنواع الهجر للقرآن ؛ هجر العمل به : وهو أشد ؛ يعني لا يعمل بالقرآن ، يعرف الأحكام الشرعية التي وردت في القرآن من الأوامر والنواهي ولا يمثلها ، فهذا هجر للقرآن .

وهذه بعض الحكم العامة من نزول القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ونزوله أيضًا لهذه الأمة ؛ للإرشاد والهداية والتدبر والتلاوة والعمل ، وقد اعتنى العلماء بأسباب النزول ، وهناك حكم خاصة ستأتي - إن شاء الله - .

وقد اعتنى العلماء بأسباب النزول وأفردوا لها مؤلفات :

ككتاب الواحدي " أسباب النزول للواحدي " ، والحافظ بن حجر له كتاب اسمه " العجائب في معرفة الأسباب " لم يكمل ، كذلك السيوطي له " أسباب نزول القرآن " .

ومن أفضل ما ألف في أسباب نزول القرآن :

كتاب الشيخ مقبل ابن هادي الوادي - رحمه الله تعالى - " الصحيح المسند من أسباب النزول " ؛ لأن أسباب النزول هنا كما سيأتينا إن شاء الله في موضعه هناك أسباب لم تصح من ناحية الرواية فهي ضعيفة .

ومعلوم أن سبب النزول للآية طريقه الرواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أو عن الصحابة كما سيأتينا إن شاء الله تعالى ؛ فأسباب النزول ليست بالرأي وإنما بالرواية ، ولذلك ألف العلماء المؤلفات وذكروا أسانيدهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلى الصحابة - رضوان الله عليهم - .

وأسباب النزول الخاصة ترجع إلى أمرين :

الأول : أن يحصل أمرٌ أو تحدث حادثة فينزل القرآن في بيانها وما يتعلق بها ، مثل ما نزلت سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ⁽⁴⁾ ؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما نزل عليه قوله : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ⁽⁵⁾ قام في قومه وصعد الصفا وأخبرهم بأنه نذيرٌ لهم بين يدي عذابٍ شديد ، فقال له أبو لهب : " تَبًّا لَكَ ، أَلِهَذَا جمعتنا " فنزلت السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ .

إِذَا ، هذا الأمر الأول : أن يحصل شيءٌ ، أو تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها .

والأمر الثاني : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يُسأل عن شيء فينزل القرآن ببيان حكمه ، مثل ما حصل في أول سورة " قد سمع " لما جاءته خولة بنت ثعلبة ، لما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت فنزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ⁽⁶⁾ .

فمرجع أسباب النزول لهذين الأمرين .

وبالتالي نعلم أن الآيات التي نزلت للهدايات العامة ؛ للتعليم ، وللهداية أكثر من الآيات التي نزلت للأسباب الخاصة ، فليس لازماً أن يكون لكل آية أو لكل جملة من الآيات سبب نزول ، فقد كان القرآن ينزل ابتداءً ؛ وهذا النزول العام ، وقد كان ينزل لسببٍ خاص ؛ وهذا سبب النزول الخاص .

⁴ (سورة المسد .

⁵ (سورة الشعراء ، الآية 214 .

⁶ (سورة المجادلة ، الآية : 1 .

إِذَا ، نستطيع أن نقول كما عَرَّف بعضهم أسباب النزول :

هو ما نزل القرآن بشأنه وقت وقوعه ؛ كحادثةٍ أو سؤال .

ولمعرفة أسباب النزول فوائد :

منها : فهم الآية والمراد بها ؛ لأن سبب النزول يكشف للمفسر ويوضح للمفسر
المراد بالآية ، مثل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ
أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (158) ﴿٧﴾

نلاحظ في قوله تعالى :

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ : قد يفهم من الآية أن السعي ليس بواجب ؛
لأن الله قال : ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ : أي فلا إثم ، مثل ما فهم عروة بن الزبير ذلك من
الآية ؛ عروة ابن الزبير فهم من الآية أن من ترك السعي فلا شيء عليه ، فعائشة -
رضي الله عنها - أم المؤمنين أفهمته ليس ذلك كذلك ؛ أي ليس كما فهمته ، وأن
معنى الآية أن الصحابة - رضوان الله عليهم - خشوا من الإثم في السعي بين الصفا
والمروة ، لماذا ؟

لأن عادة أهل الجاهلية أنهم كانوا يطوفون على صنمين ؛ صنم على الصفا وصنم
على المروة ، فكان الصحابة يتخرجون من ذلك ، فأنزل الله - عز وجل - الآية

السابقة : ﴿ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ : أي فلا إثم عليه ﴿ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ظناً منه أن ذلك يوافق عمل الجاهلية .

قال عروة لعائشة - رضي الله عنها - : لَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (8) .

قال عروة : فَمَا لَرَى عَلَى أَحَدٍ جُنَاحًا - أي اثماً - أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا - يعني يترك السعي - ، فقالت عائشة - رضي الله عنها - : بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي ، إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ عَلَى مَا أَوْلَتْهَا - أي فسرتها - كَانَتْ : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ أَنَّ الْأَنْصَارَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا كَانُوا يُهْلُونَ لِمَنَاةِ الطَّائِفَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِهَا يَتَحَرَّزُ أَنْ يَطَّوَّفَ بِالصَّافَا وَالْمَرْوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ " (9) .

ثم بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الطواف بهما ليس لأحد أن يدعهما .
إذا ، معرفة سبب النزول يفيد في فهم الآية ، وفهم المراد منها ، ولذلك أيضاً هذا يوضح أمراً مهماً ؛ وهو أنه لا يمكن الاستقلال بفهم القرآن عن السنة وعن الصحابة - رضوان الله عليهم - .

كذلك من الفوائد :

معرفة الحكمة التي من أجلها نزلت هذه الآية وشرع هذا الحكم ؛ فلما يقف المفسر على سبب النزول يعرف الحكمة التي من أجلها شرع ذلك الحكم .

8 (سورة البقرة ، الآية : 158 .
9 (صحيح النسائي ، المحدث : الألباني .

كذلك من الحكم : معرفته هل المراد باللفظ العموم أو المراد به الخصوص ؛
وهذه مسألة ستأتينا بإذن الله تعالى .

على سبيل المثال : قوله تعالى في سورة : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ 1 ﴿ 1 ﴾ 10
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ 17 ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ 18 ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ 19 ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ 20 ﴿ 1 ﴾ 11 ؛ هذه الآية
بالإجماع نزلت في أبي بكر وأن المراد بها أبو بكر - رضي الله عنه - .

فكذلك هناك فوائد آخر لمعرفة سبب النزول ؛ ولكن أبرز هذه الفوائد هو ما
يتعلق بفهم القرآن وتفسيره ، هذا يعني من أبرز الفوائد المتعلقة بمعرفة سبب
النزول ، طيب .

سيأتينا إن شاء الله تعالى في ألفاظ سبب النزول ، وكيفية معرفة ذلك في اللقاء
القادم بإذن الله تعالى .
وأكتفي بهذا القدر .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .



فريق صيانة السلفي للتفريغات
معهد الميراث النبوي

10 (سورة الليل .

11 (سورة الليل .